Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

المحارق الفرنسية ضد الشعب الجزائري بجبال الظهرة 1845م".

The French incinerators against the Algerian people in the mountains of Dahra " 1845m

عبد القادر سلاماني Slamani Abdelkader
جامعة بشار Bashar University
slakader@hotmail.fr

تاريخ الاستلام : 2019-06-08 تاريخ القبول : 2019-11-30

الملخص:

اتسع نطاق المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر، وازدادت شعبيتها ويرجع ذلك للانتصارات التي كانت تحققها ضد قوات الاحتلال الفرنسي كما قامت بعض القبائل الجزائرية بالالتفاف إلى صفوف المقاومة الجزائرية عن طريق التعبئة والتجنيد والتموين، لذا وجدت السلطات الاستعمارية الفرنسية وقواتها العسكرية صعوبات كبيرة في اختراق هذه المقاومة والعمل على إنهائها وتحقيق ذلك التوسع الفرنسي على نطاق واسع من الأراضي الجزائرية، وفي ظل هذه الظروف اتخذت قوات الاحتلال الفرنسي جميع السبل للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر وأتباعه لأنها كانت تشكل خطرا كبيرا على مشروعهم الاستيطاني.

لذا عملت السياسة الاستعمارية الفرنسية على اتخاذ إجراءات جديدة، ومن أبرزها ارتكاب أبشع الجرائم ضد الشعب الجزائري، والتي تمثلت في سياسة إبادة جماعية تعمل على حرق الإنسان حيا وقتله خنقا، وقد تمثلت عمليات الإبادة ضد سكان منطقة جبال الظهرة، والتي عرفت عدة عمليات حرق من طرف قوات الاحتلال الفرنسي، واتخذت جميع الطرق تخريب والدمار لاستنزاف مصادر التموين وروح المقاومة الجزائرية، وتعتبر هذه المحارق المرتكبة ضد الشعب الجزائري مخالفة للحقوق والقيم الإنسانية، ومن أهم هذه المحارق ضد الإنسانية المحرقة الفرنسية ضد قبيلة أولاد رياح وضد صبيح أوت 1845م، وفق تصريحات العقيد سانت أرنو حول المحرقة ومدى فضاعة الجريمة على الجانب النفسي والمعنوي لدى الشعب الجزائري صداها.

الكلمات المفتاحية: المحرقة – الإبادة الجماعية – الاستعمار الفرنسي- المقاومة الجزائرية - الجرائم.

Summary :

The Algerian resistance, led by Prince Abdelkader, increased and its popularity increased due to its victories against the French occupation forces. Some Algerian tribes also joined the ranks of the Algerian resistance by mobilizing, recruiting and supplying. The French colonial authorities and their military forces found great difficulties in penetrating this resistance And to work to end it and achieve that French expansion on a large scale of Algerian territory, and under these circumstances, the French occupation forces took all means to eliminate the popular popular resistance led by Prince Abdul Qadir and his followers because The French colonial policy took new measures, notably the commission of the most heinous crimes against the Algerian people, which were the policy of genocide and the burning of the human being and his death by strangulation, which represented these criminal operations against the inhabitants of the mountain region Al-Dahra, which has known several burning operations by the French occupation forces, and took all the methods of sabotage and destruction to drain the sources of supply and the spirit of the Algerian resistance, and these incidences

committed against the Algerian people violate human rights and values, Albuminuria winds and against the children of Sabih August 1845, according to Colonel St. Arnaud's statements about the Holocaust and the extent of the crime on the abomination of psychological and moral side of the Algerian people resonate.

key words: - Holocaust - Genocide - French colonialism - Algerian resistance - crimes.

1. مقدمة:

عملت قوات الاحتلال الفرنسي لإرساء قواعد توسعها على حساب الأراضي الجزائرية، باتخاذ مجموعة من التدابير المتعلقة بسياسة الإبادة الجماعية من اجل إخضاع القبائل الجزائرية المشاركة في المقاومة الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي، فمن بين هذه الإجراءات المتخذة ضد الشعب الجزائري، عمليات النهب والسلب وسياسة الأرض المحروقة والإبادة والمحارق ضد الإنسانية وفق خطط أكثر خطورة فمن تجويع الإنسان الجزائري بسلب ممتلكاته وأغراضه إلى اخذ أراضيه بالقوة ثم إبادته، ومن بين أهم الأسباب التي أدت لمثل هذه القسوة في التعامل مع السكان الجزائريين، يرجع إلى قوة المقاومة الجزائرية وعرقلتها التوسع المشروع الاستعماري الفرنسي، وخاصة والظروف التي كانت تعيشها فرنسا وكانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تعمل على كل ما في وسعها لتحقيق أهدافها المتمثلة في تحقيق العملية الاستعمارية والقضاء على كل سبل المقاومة بشتى أساليبها وأنواعها.

عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية على استنزاف روح المقاومة الجزائرية، ومصادر تموينها وإبعاد الشعب الجزائري عن المقاومة والدفاع عن ممتلكاته وأراضيه المسلوبة، وحقوله التي تم حرقها أو نهبها، فكلما ظهرت مقاومة في منطقة من مناطق التوسع الاستعماري إلا وكانت المواجهة الفرنسية الاستعمارية ضد هذه المواجهات في استمرار عملية التوسع وتحقيق مشروعها يكون بطرق أكثر همجية وتعسف، لتحطيم قوى المقاومة وروحها، وعملية التموين للمقاومة الجزائرية التي كانت تدافع عن تلك النواحي وتلك القبائل المضطهدة من طرف قوات الاحتلال الفرنسي.

فقد واجهت قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر عدة صعوبات وعراقيل من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية من خلال هذه السياسة العسكرية التي تعمل على عملية ترهيب السكان وإبعادهم عن كل ما يمد بصلة إلى المقاومة الجزائرية، وذلك حتى تحقق مشروعها الاستيطاني بالجزائر، فالمحارق الفرنسية تعتبر مشروع ضد إرادة الشعب الجزائري في المواجهة والمقاومة فقد تعددت هذه لمحارق في حق الشعب الجزائري ، فما هي أهم هذه المحارق الجزائرية، وما أماكن وقوعها وما عدد ضحاياها، وما ردود الفعل الفرنسي اتجاه هذه المحارق؟.

2. - تعريف الاستعمار: صراع بين القوى الكبرى على مناطق النفوذ والسيطرة على الشعوب المستضعفة من خلال عدة معطيات حسب الوضعيات والأهداف والنتائج، ويأخذ في طياته تغيير الأسس الاقتصادية الاجتماعية السياسية والثقافية الفكرية التي تخدم مصالحه، والنزاع والصراع بين قوتين مختلفتين كلا منهما تريد إما السيطرة أو تريد إحداهما الدفاع عن أراضيها، وتكون إما بين دولتين أو مجموعة دول ولا تستثنى الدول الضعيفة من القوية.

إن عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر بعد استسلام الداي حسين في 05 جويلية 1830م ،ارتكزت عملية الغزو الفرنسي على الجزائر منذ 1830م على عملية الإبادة تحت سياسة لا نترك أحدا انه الغزو الذي يمارسه الجيش على أكبر نطاق مصحوب بالنهب والمجازر، فتحول الجنود إلى ذباحين لسكان عزل لا يملكون السلاح كانت الفرق التي تقوم بالتدمير تتسلى خاصة في فصل الشتاء، وما قامت به ضد القبائل من الحراش حتى البرواقية فكل المواشي بيعت لعون قنصلي من الدانمارك وما تبقى منها عرض في سوق باب عزون، كنا نشاهد أساور النساء التي كانت بالمعاصم و أقراط تتدلى من بقايا اللحم، وما يقبض

يقسم على الجنود الذباحين سفاكي الدماء وما يزيد الأمر ألما هو إجبار السكان على مشاهدة ما يجري في الأسواق[1].» ، وحسب الجنرال بيجو: " يجب أن نقوم في إفريقيا بحملة كبيرة شبيهة بما كان يفعل الإفرنج وما كان يفعل القوط ".[2]

أراد الجنرال إحياء أمجاد روما، وربط قوات الاحتلال الفرنسي بتراثها الأوروبي المسيحي، ومحاولة إرسائه ببلاد الجزائر الاستفادة من التاريخ لمواصلة ما فعله أجدادهم من انتهاكات على أرض الجزائر، لقد كلف المشروع الفرنسي العديد من الأموال والرجال ليس لهم سوى أسلوب واحد لقهر وتحطيم هذه الجهود والمنجزات التي كانت تقوم بها المقاومة الجزائرية ضد القوات الفرنسية التي حوصرت في بعض المناطق الساحلية هذه هي المقاومة الجزائرية التي رفضت الانصياع والخضوع للأجنبي.

ويقول بوجولا: "عندما تخوض الحضارة حربا بطريقة وحشية، فإنها مجبرة أحيانا وفي حرب أن تكون وحشية لكي لا تتعرض لحرب فيها أسلحة متكافئة أو لكي لا تخسر ميزات مهمة هذا ما حدث لنا في حربنا مع إفريقيا "[3]

1.2-**تعريف الإبادة** : محاولة استئصال الجنس البشري واستبداله بشعب آخر، وذلك من خلال القضاء على جميع مقومات ذلك الشعب.

تعتبر عملية الإبادة "Razzia" حسب النقيب لوبلو دوبريبوا "Leblanc – dePrébois " شيء دنيء ومعيب للجيش الفرنسي وأمجاده حيث تقوم القوات الفرنسية بمهاجمة شعب أعزل ومحاصرته فتختطف النساء، ولكل امرأة برفقتها حوالي ثلاثة أطفال يمشون معاقبين ويتقدمون بآلامهم والشيوخ أيضا وتنهب ماشيتهم من أبقارهم وحميرهم وأغنامهم وتترك بأراضيهم جثث القتلى، ولتبرير هذه الجرائم قالوا أن كل الحروب تتطلب معاملة العدو بهذه الطريقة من أجل إخضاعه بدون مقاومة وبدون حرب ماذا علينا أن نفعل في مثل هذه الحالات لا نستطيع أن نخضع هذا المجال من هذه الأراضي بدون مقاومة وحرب[4]"، هذه هي الحرب التي واجهها الشعب الجزائري ضد قوات فرنسية لا تحترم حقوق الإنسان.؟

وحسب تصريحات جونتي دوبيسي"G. De Bussy" :"لابد من إبادة العرب أو حضارتهم حسبنا[5]"، وحسب تصريحات دوطوكفيل، "Toqueville": "لا تشغلوا بأمجادكم الشخصية وأن يؤدي كل منكم واجبه بإخلاص لوطنه إن فرصة الظهور لكل منكم تكمن في قيامه بأعمال وحشية ودموية ".[6]

لقد صرح الجنرال بيجو"Bugeaud" أمام مجلس النواب يصف روح المقاومة الجزائرية:

" لو كان سكان الجزائر قوما آخرين غير العرب أو كانوا يشبهون شعوب الهند المخنثة لما أوصيت أبدا بصرف الأموال الطائلة في سبيل تعمير البلاد بالعساكر، ولكن وجود هذه الأمة القوية العتيدة المستعدة كامل الاستعداد للحرب والمتفوقة على العناصر الأوروبية والتي كنا ننوي إدخالها للبلاد كل ذلك يحتم علينا أن نختار العناصر القوية من الأوروبيين لتوطينهم أمام أولئك العرب وجنبا إلى جنب معهم"[7].

ويؤكد الجنرال شونقارني"Changargnier"، قوة المقاومة الشعبية الوطنية في تصريحاته من خلال مذكراته :" استعملنا مع الأمير عبد القادر نفس الخطط العسكرية التي استعملناها في الحروب الأوروبية وذلك طوال المدة التي كانت له فيها قوات عسكرية وحكومة كسائر الحكومات ومراكز لادخار المؤن والعتاد والمخازن[8]".

لقد كانت الحرب بالجزائر أكثر غموضا ومأسوية من جهة التقتيل ومن جهة أخرى المجازر والإبادات الجماعية إلى جانب العقوبات، تحت أسلوب التحطيم والتدمير، وعمليات صاخبة ومشادات طول النهار دون فائدة عمليات جنونية ضد الإنسان اختلطت بالغضب الصامت للعتاد الحربي، جرحى حتى الموت، البربرية تتجادل عتاق الحضارة وتبحث عن الضربة القاضية " [9].

2.2- **تعريف المحرقة :** حرق الإنسان وقتله خنقا بالدخان، من خلال عدة عمليات قامت بها قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر بحرق السكان اللاجئين إلى بعض المغارات خوفا من قوات الاحتلال الفرنسي خنقا وحرقا، أما الجريمة: فهي التطهير العرقي أو تحطيم جماعية سواء كانت وطنية عرقية، دينية كليا أو جزئيا.

3- **محرقة الظهرة جوان 1845م:**

قامت القوات الفرنسية بقيادة كل منالعقيد " Saint Arnaud[10]"والعقيد بليسي "Pillissier"[11]، والعقيد لادميرو" Ladmirou" بمنطقة الظهرة بمعاقبة القبائل التي انضمت إلى المقاومة الشعبية بقيادة بومعزة وعملت هذه القوات الفرنسية على ممارسة الضغط ضد هذه القبائل ومن شدة الخوف التجأت قبيلة أولاد رياح من نساء وأطفال وشيوخ إلى إحدى المغارات[12] ،وبعدما عثرت عليهم قوات جيش الاحتلال الفرنسي قامت بمحاصرتهم وإخضاعهم للجوع و لكن الحصار لا يخدم الحملات العسكرية في08 جوان 1845م توجهت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة سانت ارنو إلى المغارات وحاصرها وأغلق منافذها من كل الجوانب وفي اليوم 11 قام بالحرق حيث هلك أكثر 500 شخص مع البهائم[13].

A- **L'enfumade du Dahra par Pélissier (juin 1845)**

Des fascines enflammées et systématiquement entretenues furent placées devant les issues des grottes où s'était réfugiée la population... les soldats qui avaient essuyé des coups de feu « mettaient de la rage à porter du bois »... On trouva, le lendemain des cadavres amoncelés, cinq cent ou mille, on ne sait.. le fils de Ney qualifia devant la chambre des pairs, «le meurtre consommé avec préméditations sur un ennemi sans défense.. Bugeaud répondit qu'il prenait « toute la responsabilité de cet acte » (14).

" سوف نقوم بحرقكم كالكلاب لأنهم لن يستسلموا كان لهيب النيران يشتعل داخل المغارة ويسمع النواح وبكاء النساء والأطفال لقد بقيت النيران تشتعل حتى الليل وفي الصباح عم سكون تام ولما شمل الدخان المغارة ومن شدة الاختناق قامت امرأة بالدفاع عن طفلها من الثور الهائج ووجدت جثت قد أحرقت وأفواهها تنزف دما لقد خلفت محرقة الظهرة 600 قتيل، لقد برر الجنرال بيجو هذه المحرقة واعتبرها تضييعا للوقت مضيعة لـ 15 يوما لقواتنا من أجل إخضاع منطقة الظهرة"[15].

كانت الجريمة صيفا في 19 – 20 جوان بقي اشتعال النار داخل المغارة مدة يومين كاملين حتى صارت الجثث مفحمة المنظر كان رهيبا وتقدر الضحايا بين 500 إلى 1000 شخص والى جانب الحيوانات من أغنام بقر وخيول وبغال وحمير وأمتعة وبعد العملية التي لم يسبق فعلها في التاريخ أظهر الاستعمار وحشيته من البشاعة وغابت الإنسانية وبعدما بعث العقيد بليسي تقريرا إلى الجنرال بيجو يخبره عن المحرقة والخطط المرسومة التي نفذت بها أعطى الجنرال بيجو أوامره بينما العقيد بليسي نفذها ومن خلال التقرير الرسمي يظهر الدفاع عن الانتقادات من طرف مجلس النواب الفرنسي والصحافة المكتوبة فالجريمة ارتكبت باسم فرنسا المدافعة عن حقوق الإنسان[16].

نلاحظ من خلال هذه التصريحات مدى الكراهية والحقد الذي كان يكنه القادة العسكريين الفرنسيين ضد السكان الجزائريين ووصفهم بصفات حيوانية، حتى الاعتبار الإنساني غاب في تصريحاتهم، بوصف الإنسان بالكلاب، وحرق أجسادهم ويصف كذلك مدى الهمجية الفرنسية حتى الحيوانات لم تسلم من هذه الجريمة التي تبقى من أبشع الجرائم ضد الإنسانية التي غابت فيها الروح الإنسانية.

ويصف روسي" Rousset" هذه المحرقة قائلا:

" كان الحريق قد وصل إلى أمتعة اللاجئين، وفي الليل خيل للجنود أنهم يسمعون ضجة لا تكاد تبين وصيحات خافتة، ثم ساد صمت عميق وفي وقت مبكر من الصباح استطاع بعض الرجال أن يخرجوا من المغارة فسقطوا مخنوقي الأنفاس أمام الحرس، وكان الدخان الذي انتشر في المغارة كثيفا مؤذيا، إلى حد أن الجنود لم يتمكنوا في بداية الأمر من الدخول على أننا كنا بين الحين والأخر نرى مخلوقات بشرية مشوهة تخرج من المغارات زحفا على البطون، فيحاول آخرون ممن بقي متمسكا بمبادئه إلى أخر رمق أن يمنعوهم من الخروج، وحينما تمكنا في آخر الأمر من زيارة ذلك الجحيم بعد أن خمدت فيه النيران عددنا أكثر من خمسمائة من الضحايا مابين رجال وأطفال ونساء وقد أصيب جميع الحاضرين بوجوم شديد لهول الفاجعة[17].

من خلال هذه التصريحات نلاحظ أن الأمور العسكرية لجيش الاحتلال الفرنسي، لإنجاح هذه العملية كانت مدروسة وفق خطة محكمة، وإحكام قوات الاحتلال الفرنسي قبضتهم على القضاء كل من يتواجد اخل تلك المغارة ، وحتى الضباط الفرنسيين اندهشوا

من خطورة تلك الأوضاع، وما ترتب عن هذه الإبادة الجماعية من عدم رحمة حتى الأطفال والمسنين والحيوانات التي كانت بالداخل، نرى أن مثل هذه الجرائم كانت غايتها ترهيب السكان، وحتى لا تتمكن هذه القبائل من مقاومة الاحتلال الفرنسي، وإحكام الوضع في المنطقة وتوطيد العملية الاستعمارية بالمنطقة .

3. 1- يصرح الجنرال بيجو بخصوص سكان منطقة الظهرة قائلا في رسالة بتاريخ 11 جوان 1845:

إذا انسحب هؤلاء الأوغاد إلى مغاراتهم فافعلوا بهم مثلما فعل كافنياك"Cavaignac"من قبل، أخنقوهم بالدخان الكثيف مثل الثعالب.....لقد كان العقيد بيليسي مكلفا بمطاردة قبيلة أولاد رياح حيث التجأ سكانها إلى المغارات .... كل من الرجال والنساء والأطفال وقطعان الغنم، فضرب عليهم الحصار وبعد يوم كامل أمر العقيد بيليسي بإضرام النار في حزم الحطب الموضوعة في مداخل المغارة، وعند الصباح قضي الأمر وانتهى كل شيء والحصيلة حسب التقرير الرسمي هي خمسمائة ضحية، وحسب شهادة ضابط اسباني كان شاهدا للحادثة حوالي ألف ضحية، وقد أيد الجنرال بيجو هذه الجريمة واعتبرها دفاعا عن شرف الجيش الفرنسي وعن كرامة الحكومة كما أيدها وزير الحربية سولت "Solt"[18].

نرى أن السلطة الاستعمارية الفرنسية تحملت مسؤولية تلك الجريمة، واعتبرتها جزء من عملية الحرب ضد الجزائر و المقاومة الجزائرية فمن خلال تصريحات القادة العسكريين الفرنسيين كانت مهمتهم العمل على إبادة هذه القبائل الجزائرية، وإنها كانت على علم بمكان هذه القبائل وعملت على حصارهم من دون طلب استسلام هؤلاء السكان الى قوات الاحتلال الفرنسي وقامت بعمليتها المتمثلة في حرق هؤلاء السكان الذين لجؤوا إلى المغارة، وكل ما تواجد بها وكانت نتيجتها حسب ما بقي من جثث أن عدد الشهداء تعدى 500 شهيد، أو أكثر من ذلك فلم تتنصل السلطة الاستعمارية الفرنسية ووزير الحرب الفرنسي من المسؤولية التاريخية والجرائم ضد الإنسانية .

2.3 - يصرح العقيد سانت أرنو في رسالة بعثها إلى أخيه أدولف في 27 جوان 1845م قائلا:

"لقد أوكلت إلينا أنا والعقيد بيليسي مهمة إخضاع منطقة الظهرة ولقد تم إخضاعها أن بيليسي أقدم مني في المهنة، وهو عقيد في قيادة الأركان، ولقد تصرفت إزاءه بكل تقدير فتركت له شرف القيام بالعمل الأفضل، ولا أشك في كونه قد تصرف بكل حزم ولو كنت مكانه لتصرفت مثله".

تعبر هذه التصريحات عن مدى تفاني القادة العسكريين الفرنسيين في خدمة السلطة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، والعمل على القيام بجميع الطرق والوسائل من اجل استمرار عملية التوسع الاستعماري، وإخضاع القبائل الجزائرية إلى الإدارة الاستعمارية وإنهاء كل عمل من أعمال المقاومة التي تعيق العملية الاستعمارية، لذا هذه الجرائم كان يعتبرها القادة العسكريين الفرنسيين هي مهمة عسكرية محضة .

كانت مثل هذه العمليات تعبر عن شرف القادة العسكريين وعن شرف فرنسا، من خلال تصريحاتهم وكانوا يفتخرون فيما بينهم حول هذه الجرائم ، وهذا دليل على عجزهم في مواجهة المقاومة الجزائرية التي كبدتهم خسائر ضخمة، فلجؤوا إلى مثل هذه التصرفات غير إنسانية، لإنهاك قوى المقاومة الجزائرية التي كانت تستند على القاعدة الشعبية المتمثلة في هذه القبائل الجزائرية المساندة للمقاومة عن طريق التموين والتمويل، حتى تتواصل وتستمر المقاومة الجزائرية ضد قوات الاحتلال الفرنسي والتوسع الاستعماري، في نهب وسلب الأراضي الجزائرية وتمليكها للفرنسيين أو الأوروبيين وإنجاح عملية الاستيطان .

3.3- تصريحات العقيد سانت آرنو حول جرائمه المرتكبة في حق الشعب الجزائري.

أ-المحرقة الأولى بجبال الظهرة ضد قبيلة صبيح بقيادة العقيد سانت أرنو أوت 1845م:

يصرح العقيد "سانت أرنو" عن مجزرة قتل قبيلة صبيح في جبال الظهرة وهو الأمر الذي جعل بيجو يؤيده.

«أغلقنا كل المنافذ وجئنا بالحطب وأشعلنا النار كان الوقت ضيقا ولم نترك أحدا يخرج من المغارة،كنا نطلق النار لنجبرهم على البقاء داخلها و بعد ساعات صار المكان مقبرة جماعية،صورة مرعبة حقا».

تعبر مثل هذه التصريحات عن مدى فضاعة هذه الجريمة في كيفية إحكام المكان، والتحكم في الوضع إلى درجة عدم ترك المجال لهؤلاء المحجوزين بالمغارة حتى الاستسلام، ولكن قوات الاحتلال الفرنسي عملت للقضاء على هذه القبيلة حتى لا يتسنى لقبائل أخرى بالمنطقة من الهروب أو مقاومة الاحتلال الفرنسي، فهذه العمليات خلت من الروح الإنسانية بإبادة جماعية وحرق الإنسان والحيوان، في ظروف قاسية تعبر عن مدى أهمية عملية التوسع الاستعماري، وإخضاع السكان بالقوة ولو على حساب القيم والأخلاق الإنسانية.

« Alors je fais hermétiquement boucher toutes les issues et je fais un vaste cimetière. La terre couvrira à jamais les cadavres de ces fanatiques. Personne n'est descendu dans les cavernes ; personne... que moi ne sait qu'il y a là dessous cinq cents brigands qui n'égorgeront plus les Français. Un rapport confidentiel a tout dit au maréchal, simplement, sans poésie terrible ni images »[19]

4 .1- المحرقة الثانية بجبال الظهرة ضد قبيلة صبيح بقيادة العقيد سانت أرنو 17أوت 1845م:

«المحرقة الثانية من قبل "سانت ارنو" أوت 1845»

يصرح العقيد"سانت ارنو": يوم"08 أوت 1845 قائلا: "تعرفت على كهوف قبيلة صبيح وفي 09 أوت حاصرت المكان جيدا، وانتظرت حتى يوم 12 أوت 1845 أغلقت الكهوف بإحكام وأشعلت النار فصارت هذه الكهوف مقابر ضخمة تأوي 500 شخص منذ ذلك اليوم[20].

نرى أن القادة العسكريون الفرنسيون يفتخرون بهذه المحارق والإبادة ضد الإنسانية وكان هؤلاء القادة يرون في هذه الجرائم ، يعبرون فيها عن نزواتهم الشخصية، او من اجل ترقيتهم في رتبهم العسكرية ، فكانت العملية العسكرية تعبر عن مدى العجز الذي كانت تعانيه قوات الاحتلال الفرنسي ضد المقاومة الجزائرية ، لذا عملت على استعمال كل وسائل الترهيب للقضاء على المقاومة الجزائرية من خلال هذه الجرائم، حتى لا يتسنى لهذه القبائل الجزائرية المشاركة في عملية المقاومة وخاصة من ناحية تموين قوات المقاومة بالمؤونة وما تحتاجه من عتاد وذخيرة حربية .

- Une seconde enfumade par Saint-Arnaud (août 1845).

« Saint-Arnaud écrit à son frère le 15 août 1845 : « Le 8, je poussais une reconnaissance sur les grottes ou plutôt cavernes (des Sbéhas). Nous sommes reçus à coups de fusil... Le soir même, investissement par le 53e sous le feu ennemi, un seul homme blessé, mesures bien précises. Le 9, commencement des travaux de siège, blocus, mines, pétards, sommations, instances, prières de sortir et de se rendre. Réponse : injures, blasphèmes, coups de fusil, feu allumé ; 10-11même répétition, etc. Personnes n'est descendu dans les cavernes ; personne... que moi ne sait qu'il y a là-dessous 500 brigands qui n'égorgeront plus les Français » [21].

4. 2 - وفي رسالة بعثها العقيد سانت أرنو إلى أخيه في 15أوت 1845 حول محرقة قبيلة صبيح يصرح قائلا:

".....أخي العزيز أود موافاتك بسرد طويل عن مجريات الحملة التي أنجزتها....في يوم 08 أوت قمت بعملية استطلاع المغارات بل الكهوف وفي يوم 12 أوت أمرت بسد جميع مداخل المغارات بإحكام، وأنشأت مقبرة واسعة سوف تنطبق الأرض إلى الأبد على جثث أولئك المتعصبين، ولن ينزل أحد إلى تلك المغارات لا أحد غيري يعلم أن تحت هذا المكان، يوجد خمسمائة من الأشرار سوف لن يقوموا بعد اليوم بذبح الفرنسيين، أرسلت تقريرا سريا لاطلاع الماريشال على تفاصيل كل شيء ببساطة وبدون أسلوب شاعري ولا صور مشينة...."

يعبر سانت ارنو من خلال هذه الرسالة عن انجازاته ، ويفصل عن أحداث هذه الجريمة المرتكبة في حق الشعب الجزائري وضد سكان عزل لم تحترم فيها حتى قواعد الحرب، ولا الروح الإنسانية ويعترف بعدد الضحايا حسب التقرير الذي أرسله حول تفاصيل عملياته العسكرية بالمنطقة وعن هذه الإبادة الجماعية التي يعتبرها أنها كانت تحوي حوالي 500 شخص حسب تصريحاته ، كما نرى روح التعصب من خلال هذا التصريح أن العملية كانت

من معطيات كراهية قوات الجيش الفرنسي للجزائريين، وكل من يقف في وجه التوسع الاستعماري الفرنسي من خلال وصف الجزائريين بالأشرار، وكذلك حتى لا يتسنى لهم ذبح الفرنسيين يقصد معاناة قوات الجيش الفرنسي من المقاومة الجزائرية وتعبر مثل هذه التصريحات عن الروح الانتقامية مما يعانيه القادة العسكريين الفرنسيين في الجزائر خلال هذه المرحلة الأولى في محاولاتهم للتوسع على حساب الأراضي الجزائرية.

ولقد قام كافنياك سنة 1844 بنفس العمل الذي قام به العقيد سانت أرنو حسب تصريحه ضد قبيلة صبيح قائلا:

.....لقد حدثنا كارونوبير عن ذلك قائلا كنت حاضرا في أول واقعة من وقائع الخنق في المغارات كنت مع الفيلق ضمن الطابور الذي كان تحت قيادة العقيد كافينياك.....توجهنا لمعاقبة قبيلة صبيح وتمت مطاردتهم، وأطلقنا النار عليهم عند مدخل المغارة وشرعنا نكدس الحطب، هناك وعند المساء أضرمنا النار ....هلك من كان معهم من الرجال والنساء والأطفال تلك أولى الوقائع المتعلقة بإضرام النار في المغارات لم يتحدث أحد عن ذلك، لأن العقيد كافنياك التزم الحذر كعادته فلم يفصل القول حول عدد العرب الذين ماتوا خنقا بالدخان ....

وخلال شهر جوان 1845 قام الضابط كارونبير بنفس العمل الذي قام به كافينياك يقول في هذا الصدد : انسقت بدوري شخصيا إلى القيام بمثل تلك الأعمال المتطرفة كنت موجودا أمام مغارة التجأ إليها العرب.....ولانعدام الحطب قمت بسد المغارة بالحجارة....."[22].

نستنتج من خلال هذه التصريحات ان القادة العسكريين الفرنسيين كانوا على علم بمدى خطورة هذه الجرائم ، ويبررون مواقفهم حسب مقتضيات الحرب القائمة في الجزائر كما يعترفون بالهمجية والتطرف من خلال عمليات الإبادة والحرق الممارسة ضد الإنسان الجزائري، في ظل هذه الظروف التي انعدمت فيها أدنى الروح الإنسانية وخاصة من طرف قادة عسكريين خريجي المدارس العسكرية الكبرى في فرنسا مثل سان سير وهذه الجيوش التي كانت لها تجربة في أوروبا ، تستخدم هذه الممارسات المشينة بالأخلاق والقيم السكرية والحربية وتعدت كل القوانين والأعراف الدولية .

تعتبر السياسة الاضطهادية الفرنسية الممارسة ضد الشعب الجزائري من إبادات ومحارق هي الوسيلة الوحيدة التي كانت تراها السلطات الاستعمارية الفرنسية من أجل القضاء على سبل المقاومة الشعبية الوطنية، لذا اتخذت عدة إجراءات أكثر صرامة لمجابهة المقاومة وذلك بالقضاء على مصادر تموينها واستعمال سياسة الأرض المحروقة لإنهاك الاقتصاد الوطني وتفقير الشعب الجزائري، والعمل على تجويعه وإبعاده عن المساهمة في تموين المقاومة الجزائرية، فقد قامت قوات الاحتلال الفرنسي بعدة اعتداءات ضد الشعب الجزائري بحرق مساكنهم وأراضيهم الزراعية قصد إخضاعهم.

فمن خلال هذه التصريحات والاعترافات من قبل القادة العسكريين الفرنسيين وجرائهم المرتكبة ضد الشعب الجزائري ، وخاصة وهناك عدة تصريحات رسمية وغير رسمية تؤكد مدى أهمية الجزائر بالنسبة للسلطة الاستعمارية الفرنسية، وقادتها بالجزائر فكانوا يعملون كل ما بوسعهم للقضاء على كل التحديات التي تواجه مشروعهم الاستيطاني في الجزائر فمثل هذه الجرائم والإبادة الجماعية والمحارق بحرق الإنسان حيا، ومن دون سلاح سكان عزل يقومون بمحاصرتهم بمغارات وحرقهم، تعبر عن مدى همجية هذا الاستعمار وخرقه لكل سبل القيم الإنسانية والأخلاقية، وشيم وقوانين الحروب وصراع القوى والحضارات كما تعبر عن مدى مقاومة الشعب الجزائري لقوات الاحتلال الفرنسي، وهذا ما اضطرهم لاستخدام هذه المعاملات والسياسات البعيدة كل البعد عن القوانين الحربية والإنسانية.

5. خاتمة:

عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية على تطبيق مجموعة من السياسات التي تتوافق ومشروعها الاستيطاني في الجزائر في ظل المقاومة الشعبية الجزائرية والتي اعتبرتها قوات الاحتلال الفرنسي أنها تعيق تقدمها ومسارها نحو التوسع ، لذا اتخذت مجموعة من الطرق التي تعمل على إنهاء هذه المقاومة الجزائرية وسبل تموينها الداخلي والخارجي وخاصة وان هذه المقاومة كانت قاعدتها شعبية تعتمد عليها في عمليتي لتمويل والتموين فتجاوزت القوة العسكرية الاستعمارية كل الحدود الإنسانية والحضارية في

التعامل مع البشرية دون اعتبار لأي مقومات إنسانية أو حضارية للشعب الجزائري، وبلغت الهمجية الفرنسية ذروتها في إبادة الشعب الجزائري.

فمن سياسة الإبادة الجماعية المرتبطة بالقائل المساندة للمقاومة الشعبية الوطنية وسياسة الأرض المحروقة وسياسة إخضاع القبائل الجزائرية تحت سلطة الاستعمار الفرنسي، عملت قوات الاحتلال الفرنسي والقادة العسكريين على ابتكار الاستعمار وسائل جديدة وأفكار وأدوات للدمار والخراب تعدت نطاق الحرب تمثلت هذه العمليات الجديدة في مجموعة من المحارق الفرنسية ارتكبت ضد الشعب الجزائري وحرق الإنسان في مغارات وهذا من خلال اعترافاتهم وافتخارهم بما فعلوه من جرائم ضد الإنسانية.

هذه الأساليب في الإبادة والقتل كانت غايتها من روح تعصبية تعمل على إنهاك مصادر المقاومة الجزائرية سواء في عملية التموين أو التعبئة من خلال هذه السياسة المعتمدة وترمي لاغتصاب العديد من الأراضي والعمل على مصادرتها، وتطبيق سياسة استيطانية واسعة، كما اتخذت هذه القوات جميع طرق الفتك والنهب والاستنزاف وذلك من أجل قتل روح المقاومة الجزائرية، وتطبيق سياسة التجويع والرعب في حق الشعب الجزائري، هذه هي أوج روح الحضارة وحقوق الإنسان التي كانت تنادي بها الدولة الفرنسية وهذه هي مبادئ الثورة الفرنسية القائمة على الحرية والإخاء والمساواة، وما هذه المحارق التي تعددت أماكنها وضحاياها سوى جزء من الجرائم الفرنسية التي ارتكبت في حق الشعب الجزائري الذي، وهذه هي الحضارة التي ادعت فرنسا تطبيقها في الجزائر، لم يحترم فيها لا القانون ولا الروح الإنسانية بحرق الأطفال والنساء والشيوخ والرجال والحيوانات وحتى البهائم لم تنجوا من السيطرة الاستعمارية الفرنسية، مع إصرار الدولة الفرنسية بعدم التخلي عن الجزائر.

6. قائمة المراجع:

المراجع العربية:

- الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- فرانسوا ماسبيرو، سانت أرنو أو الشرف الضائع ،ترجمة أحمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر ،2006.

المراجع الفرنسية:

- De Bussy. G, *De l'établissement des Français dans la Régence d'Alger,typographie de Firmin Didot Frères*, Paris, 1839, t. 1.

- Changargnier. T, *Mémoire du général Changargnier, éd.*Levrault, Paris, 1930.

- Chikh. B, Mohamed .Dj, *L'Algérie coloniale par les textes 1830-1962, éd.* Hammouda, Alger, 2003.

- Ladmir. J, *Les guerres d'Afrique, éd.* Renault, Paris, 1858.

-Lépine .Q, *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie 1798-1850, éd.* Plon, Paris, 1928.

-Toqueville. A, *Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie, éd.* Conplexe, Bruxelles, 1988.

- المجلات الفرنسية:

- Bousquet .R, *L'affaire des grottes du Dahra 19 -20 Juin 1845, Revue Africaine, t.* 51, 1907.

7. هوامش:

[1]- Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871), op.cit.*, p. 66 -68.

[2]- A. Bernard, *L'Algérie histoire des colonies de la France dans le monde, éd.* Alcan, Paris, 1929, t. 2, p. 208.

[3]-J. Poujoulat, *Études Africaines, op.cit.*, t. 2, p. 128.

[4]-J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique, éd.* Renault, Paris, 1858, *p.* 272.

[5]-G. De Bussy, *De l'établissement des Français dans la Régence d'Alger,typographie de Firmin Didot Frères*, Paris, 1839, t. 1, *p.* 131.

A. Toqueville, *Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie, éd.* Conplexe, Bruxelles, 1988, *p.* 93.-[6]

[7]- الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص. 81-82.

[8]-T. Changargnier, *Mémoire du général Changargnier, éd.*Levrault, Paris, 1930, p. 331.

[9]-J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique,op. cit., p.* 354.

[10]- **لوروا دوسانت أرنو1798-1854: ولد في باريس في 1833 كان مساعدا لبيجو الذي دعمه، وصل إلى إفريقيا في 1836، عقيد في 1844 ثم، ضابط فرقة ووزير حرب في عهد لويس فيليب 1851،ينظر:**

T. Changargnier, *Mémoire du général Changargnier, op.cit., p.* 218.

[11]-أمابل بيليسي 1794-1864: دخل مدرسة قيادة الأركان 1819، شارك في حملات إسبانيا 1823 والجزائر التي عاد إليها في 1841 كمقدم تقلد في 1843 مهام نائب قيادة أركان الجيش ثم قائدا لأركان الجيش، ضابط فرقة في 1850 واحتل الأغواط 1855، **ينظر:**

T. Changargnier, *op.cit., p* .240 .

[12]-J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique,op. cit, p. 341.*

[13]-Q. Lépine, *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie 1798-1850, éd.* Plon, Paris, 1928, *p.* 363.

[14]-R. Bousquet, *L'affaire des grottes du Dahra 19 -20 Juin 1845, Revue Africaine*,t. 51, 1907, *p.* 142.

[15]-J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique, op. cit., p.* 442 - 443. -[15]

[16]-R. Bousquet, *L'affaire des grottes du Dahra 19 -20 Juin 1845, op. cit., p.* 142.

[17] - الأشرف مصطفى، المرجع السابق، ص.112-113.

[18]-فرانسوا ماسبيرو، سانت أرنو أوالشرف الضائع ،ترجمة أحمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر ،2006، ص.239- 239.

[19]-A. Toqueville, *Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie, op.cit., p.* 31.

[20]-B. Chikh, Dj. Mohamed, *L'Algérie coloniale par les textes 1830-1962, éd.* Hammouda, Alger, 2003, *p.* 49.

[21]-A. Toqueville, *Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie, op.cit, p* 49.

[22]-فرانسو ماسبيرو، المرجع السابق، ص.244- 245.